بمطلوب بل لابد من انضمام اسباب اخر اليه ولا بد ايضا من صرف الموانع والمعارضات
عنه حتى يحصل المقصود فكل سبب فله شريك وله ضد فان لم يعاونه شريكه ولم
ينصرف عنه ضده لم يحصل سببه فالمطر وحده لا ينبت النبات الا بما ينضم اليه
من الهوى والتراب وغير ذلك ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الافات المفسدة له
والطعام والشراب لا يغذي الا بما جعل في البدن من الاعضاء والقوى ومجموع ذلك
لا يفيد ان لم يصرف المفسدات والمخلوق الذي يعطيك ويضرك مع ان الله يخلق
فيه الارادة والقوة والفعل فلا يتم ما يفعله الا باسباب كثيرة خارجة عن قدرته تعاونه
على مطلوبه ولو كان ملكا مطاعا ومن عرف هذا حق المعرفة انفتح له باب توحيد الله
وعلم انه لا يستحق ان يدعى غيره ولا فرق بين الاسباب العلوية والسفلية من افعال
الملائكة والانبياء والمؤمنين وشفاعتهم وغير ذلك من الاسباب فان من توكل
على الشفاعة او المدعو من ملك او نبي او رجل صالح ونحو ذلك قيل له هذا ايضا
سبب من الاسباب فهذا الشافع والمدعو لا يفعل ذلك الا بمشيئة الله تعالى وقدرته
فليس احد يشفع عنده الا باذنه الاذن القدري الكوني فان شفاعته من جنس
افعال العباد ولا تكون الا بمشيئته وقدرته فليس كالمخلوق الذي يشفع الشافع
يغير حال المشفوع اليه بل هو خالق شفاعة الشافع كسائر التحولات ولا حول
ولا قوة الا به **والحول يتضمن** التحول من حال الى حال بحركة او ارادة او غير ذلك
فالشافع لا حول له في الشفاعة ولا غيرها الا به ثم اهل الطاعة الذين يقبل شفاعتهم
لا يشفعون الا لمن ارتضى فلا يطلبون منه ما لا يحب ان يطلب منه بل الملائكة
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وعلينا ان نكون معه ومع رسله هكذا فلا نقول في الدين
حتى يقول لا نتقدم بين يدي الله ورسوله ولا نفعل الا ما امر به وعلى من هذا
ان لا نعمل الا ما امر فلا نكون اعمالنا الا واجبة او مستحبة واذا كان هكذا في
مثل هذه الاسباب فكيف من توكل او رجا اسباب غير هذه من الكواكب او غيرها
او من افعال الادميين من الملوك والرؤساء والاصحاب والاصدقاء والمماليك
والاتباع وغير ذلك **ومما ينبغي ما قال طائفة من العلماء** قالوا الالتفات
الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل
والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع وانما التوكل والرجاء معنى
يتالف من موجب التوحيد والعقل والشرع وبيان ذلك ان الالتفات
الى السبب

اليه

فائدة

لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى [...]

[...] الى الاسباب

الى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستناد اليه وليس في المخلوقات
ما يستحق هذا لانه ليس بمستقل ولا بد له من شركاء واضداد ومع هذا كله فان
لم يسخره مسبب الاسباب لم يسخر وهذا مما يبين ان الله رب كل شيء ومليكه وان
السموات والارض وما بينهما والافلاك وما حوته لها خالق مدبر غيرها وذلك
ان كل ما يقدر من فلك او كوكب او ملك او غير ذلك تجده ليس بمستقل باحداث
شيء من الحوادث بل لا بد له من مشارك معاون له وهو مع ذلك له معارضات
وممانعات من الاسباب الى الكمال في الرب الذي يدعى ويسئل ويتوكل عليه
لا بد ان يكون قيوما يقيم العبد في جميع الاوقات والاحوال كما قال سبحانه وتوكل
على الحي الذي لا يموت وقال الله لا اله الا هو الحي القيوم فهذا من انواع النظر والاعتبار
يوجب ان العبد لا يرجو الا الله ولا يتوكل الا عليه **واما كونه لا يخاف الا ذنبه**
فلما علم انه لا يصيبه مصيبة الا بذنوبه وهذا يعلم بالايات الافاقية وان نفسيه والايات
الاخرية في كتابه كما هو مبسوط في غير هذا الموضع وهذا تحقيق ما ثبت في الصحيح
في حديث ابي ذر رضي يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها
فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فبين انما
يجد العبد من الخير فليحمد الله عليه فان الله هو الذي انعم به عليه وان كل ما وجد
من الشر فلا يلومن الا نفسه وفي الصحيح ايضا عن النبي صلى الله عليه انه قال سيد
الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك
ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء
بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فقوله ابوء لك بنعمتك علي
اعتراف واقرار بالنعمة وقوله وابوء بذنبي اقرار بالذنب ولهذا قال من
قال من السلف اني اصبح بين نعمة وذنب فاريد ان احدث للنعمة شكرا وللذنب
استغفارا لكن الشكر يكون بعد النعمة والتوكل والرجا يكون قبل النعمة كما قال
الخليل فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وفي خطبة النبي صلى الله
عليه وسلم الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا
وسيئات اعمالنا فجمع بين حمده والاستعانة به والاستغفار له فقد تبين